

186352 - يسأل : لماذا غُفر للعبد في حديث (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) مع أنه إنما جاء حاجة؟

السؤال

هل بالإمكان أن تشرحوا لي لماذا غُفر لذلك الرجل الذي ورد ذكره في حديث اجتماع الملائكة في خلق العلم ، رغم أن نيته لم تكن صحيحة ؟ هل هذا استثناء من القاعدة العامة ، إنما الأعمال بالنيات..؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

روى البخاري (6408) ومسلم (2689) - واللفظ له - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضُلًا ، يَتَتَبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ ، حَتَّى يَمْلُؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، مَنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ ، يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيُهَلِّلُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، وَيَسْأَلُونَكَ ، قَالَ : وَمَاذَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ ، قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا : لَا ، أَيُّ رَبِّ ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ ، قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ . قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي ؟ قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا ، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا . قَالَ : فَيَقُولُونَ : رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ . فَيَقُولُ : وَلَهُ غَفَرْتُ ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) . وفي رواية البخاري : (قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" فِي الْحَدِيثِ فَضْلُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَالذَّاكِرِينَ ، وَفَضْلُ الْاجْتِمَاعِ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَنَّ جَلِيسَهُمْ يَنْدَرِجُ مَعَهُمْ فِي جَمِيعِ مَا يَنْفَضِّلُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَيْهِمْ إِكْرَامًا لَهُمْ وَلَوْ لَمْ يُشَارِكُهُمْ فِي أَصْلِ الذِّكْرِ " انتهى .

أما لماذا غفر الله لهذا العبد الخطاء الذي جاء حاجة لم يجيء للذكر والاستغفار ؟ فليعلم أن الله تعالى واسع المغفرة يختص برحمته على من يشاء ، ولا يسأل عما يفعل سبحانه .

وقد أخبر سبحانه أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، ويرزق من يشاء ، ويزكي

من يشاء ، ويتوب على من يشاء ، ويصيب بفضله من يشاء ، ويدخل في رحمته من يشاء ، وأنه سبحانه واسع المغفرة ، وأن رحمته وسعت كل شيء .

وقد روى البخاري (2268) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءَ فَقَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا : مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً ؟ قَالَ : هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ ؟ قَالُوا لَا ، قَالَ : فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءَ) .

وهذا الحديث يدل على واسع رحمة الله وعظيم جوده وكرمه وإحسانه وبره ولطفه بعبده المسيء ، وأنه يهب المسيئين للمحسنين ؛ ذلك بأن رحمته تغلب غضبه ، وعفوه يسبق عقوبته .

يضاف إلى ذلك أن الله عز وجل أعلم بعباده ، وأخبر بمن يستحق العفو منهم ممن لا يستحقه ، فجاز أن يكون لهذا الرجل سابقة خير عامله الله بلطفه بها ، وجاز أن يكون الله قد علم من قلبه تشوفه للتوبة وقربه منها ، وجاز أن يكون الله قد تفضل عليه بما تفضل به كرامة لهؤلاء الذاكرين ، وبيانا لشرف الذكر وشرف مجالسه وفضله وفضل أهله .

قال الشيخ ابن باز رحمه الله :

" صحبة الأخيار ومجالستهم من أسباب العفو عن المسيء المسلم ، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، ولكن لا يجوز للمسلم أن يعتمد على مثل هذه الأمور لتكفير سيئاته ، بل يجب عليه أن يلزم التوبة دائما من سائر الذنوب ، وأن يحاسب نفسه ويجاهدها في الله ، حتى يؤدي ما أوجب الله عليه ، ويحذر ما حرم الله عليه ، ويرجو مع ذلك من الله سبحانه العفو والغفران " انتهى من "مجموع فتاوى ابن باز" (6/ 346) .

وخصه بهذا التفضل بمقتضى حكمته وعلمه سبحانه ، وهو الحكيم العليم ، وقد قال تعالى : (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) الأنعام/ 53 .

قال ابن القيم رحمه الله :

" أَيْ: هُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَشْكُرُهُ عَلَى نِعْمَتِهِ ، فَيَخْتَصُّهُ بِفَضْلِهِ وَيَمْنُنُ عَلَيْهِ مِمَّنْ لَا يَشْكُرُهُ ، فَلَيْسَ كُلُّ مَحَلٍّ يَصْلُحُ لِشُكْرِهِ ، وَاحْتِمَالِ مَنَّتِهِ ، وَالتَّخْصِصِ بِكَرَامَتِهِ .

فَذَوَاتُ مَا اخْتَارَهُ وَاصْطَفَاهُ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَمَاكِنِ وَالْأَشْخَاصِ وَغَيْرِهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى صِفَاتٍ وَأُمُورٍ قَائِمَةٍ بِهَا لَيْسَتْ لِغَيْرِهَا ، وَلِأَجْلِهَا اصْطَفَاهَا اللَّهُ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي فَضَّلَهَا بِتِلْكَ الصِّفَاتِ ، وَخَصَّهَا بِالِاخْتِيَارِ ، فَهَذَا خَلْقُهُ ، وَهَذَا اخْتِيَارُهُ (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) .

" انتهى من "زاد المعاد" (1/ 53) .

ولا علاقة لهذا الخبر بحديث (الأعمال بالنيات) ؛ فإن ذلك محض تفضل الله على عبده وكرامته لأوليائه الذاكرين ، فإن الله تعالى لم يحاسبه على عمله الذي عمله ، ولم يعطه أجر هذا الجلوس الذي جلس به من غير نية الطاعة ، إنما أعطاه ذلك تفضلا منه وكرما ورحمة وبراً ، ولا حرج على فضل الله وعطائه سبحانه ؛ فكما أعطى أهل الذكر لأجل ذكرهم ، وهذا جالس معهم ، جبره الله تعالى ، وأكرمه لأجل مجلس الذكر الذي شارك أهله فيه ، وهكذا شأن الكرم والبر والرحمة ، من رب العالمين ، جل جلاله .

والقطع بأن نية هذا العبد كانت غير صحيحة غير صحيح ؛ لأن معرفة النوايا وما انطوت عليه النفوس مرد علمه إلى الله وحده ، ولعل الرجل كان قد جاء لحاجة ثم ألقى الله على قلبه بعد ذلك التوبة والإنابة ، وانتفع بهذا المجلس الذي لم يجيء من أجله . راجع للفائدة جواب السؤال رقم : (145574) .

والله تعالى أعلم .